سِلْسِلَةُ
يَنَابِيعِ الأَنْهَارِ فِي فِقْهِ
الكِتَابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ

٤٠

سِلْسِلَةُ
أَهْلِ الأَثَرِ فِي مَمْلَكَةِ البَحْرَيْنِ

الأصل

المُفْهِمُ
فِي
أَهَمِّيَّةِ الوَقْتِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِ

اعْدَادُ:
أُمِّ مُحَمَّدٍ بو جيريٍّ الأَثَرِيَّةِ

شِعَارُنَا: أَمْنٌ وَ أَمَانٌ فِي الْأَوطَانِ

بسمَ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ تَيْسِيراً، وَتَوْفِيقاً، وَعَوْناً

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمَدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنَا مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ و٧١].

أما بعد...

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فلقدِ اسْتمعْتُ إلى مُحاضَرةٍ قَيِّمةٍ للشَّيْخِ العلاَّمةِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ رحمه اللهُ تعالى في أَهميةِ الوَقْتِ في حياةِ الْمُسلمِ، وكيفيةِ الْمُحافظةِ عليه، فاحببتُ أن أَضَعَ منها بعضَ الفَوائدِ بتصرُّفٍ بينَ يدي طلبة العِلْمِ ليحرِصُوا على عُمارةِ أوقاتِهم في كُلِّ ما يُحبُّ الله تعالى، ورسوله ﷺ، وقدْ أَلحقتُ بها في أثناءِ الشَّرحِ نُبْذَةً مِنَ الفوائدِ في أهميةِ الوقتِ في حياةِ الْمُسلم تتمَّةً للفائدةِ.

قلتُ: ولقدْ حرصتُ عَلى وَضْع بعضِ النَّماذجِ من حَياةِ الْمُسلمينَ في هذهِ الوَرَقَاتِ تُوضِحُ لهم التَّفريط الشَّديد في تَضييعِ أوقاتِهِم بِمَا لاَ ينفعُ لهم فِي هذهِ الحياةِ؛ لينتبهُوا ويحرِصُوا على اغْتِنامِ أوقاتِهِم بِمَا ينفعُهم في الدُّنيا والآخرةِ، وليعدُّوا لدنياهُم مَحصلة لآخرتِهِم، واللهُ من وراءِ القصدِ، والهادي إلى سَبيلِ الرَّشادِ.

ولا أَنْسَى أنْ أتقدَّمَ بالشُّكرِ الجزيلِ لفضيلةِ الشَّيخِ فوزيّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الحُميدِيّ الأثريّ حفظه الله على مُساهمتِهِ في إخراجِ هذا الكتابِ الْمُبارك إن شاءَ الله.

هذا وأسألُ الله تعالى عِلْماً نافِعاً، وعَملاً صالحاً، وتَوْفِيقاً لما يحبهُ، ويرضاهُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

والحمدُ لله ربِّ العالمين على فضلِهِ، وإحسانِهِ، ونِعَمِهِ التي لا تُعدُّ، ولا تُحصى، كما يُحب رَبُّنا ويَرْضَى.

كتبته

أم مُحَمَّد بو جيريّ الأثرية

بسمَ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر

ذِكْرُ الدَّلِيلِ على أهميَّةِ الوَقْتِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِ مِنَ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، والآثَارِ

فالله عَزَّ وجلَّ خلقنَا في هذه الدُّنيا، واسْتَخلفَنَا فيها ليَنْظُر كيف نَعمل، ولا شكَّ في أنَّ التَّفريطَ في الوقتِ يأثم بهِ الْمُسلم لكونهِ لم يُحافظْ على الأَمَانةِ من وقتٍ وغيرِهِ، فقد حَرِصَ أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ، والعلماءُ من بعدِهِم على حفظِ الوقتِ، والله جلَّ وعَلاَ إِنَّما خَلَقَ الثَّقَلين لعبادتهِ وحدَهُ لا شَرِيكَ له، بطاعةِ الأَوامرِ، وتَرْكِ النَّواهي؛ كما قالَ جلَّ وعَلاَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]؛ أي: إلا ليوحِّدون.(١)

قلتُ: ودليلُ هذا الفَهْمِ: أنَّ الرُّسلَ إنَّما بُعِثَتْ لأجلِ التَّوحيدِ؛ أعني: تَوحيد العبادةِ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمه الله في ((العُبُوديَّة)) (ص١٩): (الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله ويرضَاه من الْأَقْوَالِ، والأعمالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ). اهـ

---

(١) انظر: ((القول الْمُفيد على كتاب التوحيد)) للعلاَّمةِ ابنِ عُثيمين (ج١ ص٢٦)، و((التَّمهيد لشرح كتاب التوحيد)) للشَّيخ صالح آل الشَّيخ (ص١١).

وقيامُ ذلكَ بالقلبِ، واللِّسانِ، والجَوارِحِ، بكمال الحُبِّ للهِ تعالى، وكمالِ الذُّلِّ له، فيجمع بَيْنَ الأمرين[١]، فهذه العبادةُ الحقيقيَّةُ التي يُحبها الله تُعالى، ويَرْضاها من العِبَاد.[٢]

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةِ رحمه الله في ((العُبُوديَّة)) (ص٥٧): (إذا تبيَّنَ هَذَا؛ فَكمال الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيق عُبوديَّتِهِ لله تعالى، وَكُلَّما ازْدَادَ العَبْدُ تَحْقِيقاً للعبوديةِ ازْدَادَ كَمَالُه، وعَلَتْ دَرَجَتُهُ). اهـ

وقالَ العلاَّمةُ الشَّيْخُ عبدُ الرَّحمن السَّعْديُّ رحمه الله في ((تيسير الكريم الرَّحمن)) (ص٨١٣): (هذه الغَايةُ، التَّي خَلَقَ اللهُ تَعالى الجِنَّ والإنْسَ لها، وبَعَثَ جميعَ الرُّسل عليهِم السَّلامُ يَدْعُونَ إليها، وهي عِبادتُهُ الْمُتضمنة لمعرفتِهِ، ومَحبتِهِ، والإنابةِ إليه، والإقبالِ عليهِ، والإعراضِ عَمَّنْ سِوَاهُ، وذلك يَتَضَمَّنُ مَعرفتهِ تَعالى، فإنَّ تَمامَ العبادةِ، متوقفٌ على المعرفةِ بالله تعالى، بل كُلَّمَا ازدادَ العبدُ مَعرفة لربِّه، كانت عبادَتُهُ أكملُ، فهذا الَّذي خَلَقَ اللهُ الْمُكلفين لأجلِهِ، فما خلقهُم لحاجةٍ منه إليهم). اهـ

وقالَ القُرْطُبِيُّ الْمُفَسِّرُ رحمه الله في ((جامع لأحكام القرآن)) (ج١ ص٢٢٥): (أصلُ العِبادةِ: التَّذللُ، والخُضوعُ). اهـ

قلتُ: وهذه العِبادةُ تَحتاجُ إلى عِلْمٍ، وإلى بَصيرةٍ، ولا سبيل لذلِكَ إلاَّ بحفظِ الوَقْتِ، ومَنْ أضاعَ وقتَهُ ضاعتْ عليه العُلوم الْمُفيدة، وانشغلَ فِيمَا لا ينفعُه؛ فَمَنْ أهمَلَ وقتَهُ سَينشغِلُ فيما لاَ فائدةَ فيهِ، ولا بدَّ. **[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله]**.

---

(١) **قلتُ**: فالحبُّ الخليُّ عن ذلٍّ، والذُّلُّ الخليُّ عن حبٍّ لا يكون عبادة، وإنَّما العبادةُ ما يُجمع كمال الأمرين.

وانظر: ((فتح المجيد لشرح كتاب التَّوحيد)) للعلاَّمةِ عبد الرحمن بنِ حسن (ج١ ص١٦).

(٢) وانظر: ((مدارج السَّالكين)) لابنِ القَيِّم (ج١ ص١٠٩)، و((فتح المجيد لشرح كتاب التَّوحيد)) للعلاَّمةِ عبد الرحمنِ بن حسن (ج١ ص٨٤)، و((الفتاوى)) لابنِ تيميَّةِ (ج١٠ ص١٤٩)، و((توزيع العبادات على مقادير الأوقات)) لابن قُدَامَةَ (ص٢١ و٢٣)، و((شرح صحيح البخاري)) لابنِ بَطَّالٍ (ج١٠ ص١٤٦ و١٤٧).

فيجبُ على الْمُسلمِ أن يحفِظَ وقتَهُ، ولا يَنْسَى؛ قولَهُ تَعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقولَهُ جَلَّ وعلاَ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، ومَنْ كانتْ أعمالُهُ مَحفوظةٌ، وأقوالهُ مَكتوبةٌ كيفَ يُضيِّعُ الوَقْت، فجديرٌ بمَنْ هذا شأْنُه أن يحفِظَ وقتَهُ مِنَ الضَّياعِ، واللهُ الْمُستعانُ. **[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله]**.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١ و٢ و٣].

فَأَقْسَمَ تَعالى بالعَصْرِ، وهو الدَّهرُ الَّذي هو زَمَنُ تَحصيلِ الأَرباح، والأعمالِ الصَّالحةِ للمُؤمنين، وزمنُ الشَّقاء للمُعْرِضينَ، ولِمَا فيهِ مِنَ العِبَرِ، والعَجائبِ للنَّاظرين.(١)

قالَ العلاَّمَةُ الشَّيْخُ محمدُ بنُ صالح العُثيمين رحمه الله في ((شرح ثلاثة الأُصول)) (ص٢٥): (فَأَقْسَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالدَّهرِ على أنَّ كُلَّ الإنسانِ في خُسْرٍ إلاَّ مَنِ اتَّصَفَ بهذهِ الصِّفاتِ الأَربعِ: ١) الإيمانُ، ٢) والعملُ الصَّالح، ٣) والتَّواصي بالحقِّ، ٤) والتَّوصي بالصَّبْرِ). اهـ

قلتُ: فالمسلمُ إذا أَرَادَ أنْ ينالَ هذه الصِّفات الطَّيبةِ، فعليهِ بحِفْظِ وَقْتِهِ في طاعةِ الله تَعالى، فإذَا نَالَ هذه الصِّفات الأربع صارَ مِنَ الرَّبَانيين فِي الدِّين.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله في ((التِّبيان)) (ص٥٢)؛ في بَيانِ الحكمةِ مِنَ القَسَمِ بـ((العَصرِ)): (فأقسمَ سبحانَهُ بالعَصْرِ؛ لمكانِ العِبرةِ، والآيةِ فيه، فإنَّ مُرورَ اللَّيلِ

---

(١) انظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعود)) للقاسم (ص٥)، و((شرح ثلاثة الأُصول)) للعلاَّمة ابنِ عُثيمين (ص٢٥)، و((التِّبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص٥٣).

قلتُ: وقسمهُ سبحانه بالزَّمنِ كان لَفْتاً للأنْظارِ نحوه، وما اشْتملَ عليه من مَنافعٍ للنَّاسِ.

والنَّهارِ على تَقْديرِ قُدرة العزيزِ العَليمِ مُنتظِمٌ لمصالحِ العَالِمِ على أكملِ ترتيبٍ، ونظامٍ... وانْقسام العصر إلى القُرونِ، والسِّنين، والأشهرِ، والأيَّامِ، والسَّاعاتِ، وما دُونِها؛ آيةٌ من آياتِ الرَّبِّ تعالى، وبرهانٌ من براهين قُدرتِهِ، وحكمتِهِ، فأقسمَ بالعَصْرِ الذي هو زمانُ أفعال الانسان). اهـ

قلتُ: فلا شيءٌ أنفس من العُمْر؛ الذي هو الزَّمنُ... فإقسام اللهُ تعالى به دليلٌ على شَرفِهِ، وهذا يدلُّ على أهميةِ الوَقْت للإنسانِ.(١)

قَالَ العلاَّمةُ الشَّيْخُ عَبْدُ العزيز بنُ بَازٍ رحمه الله في ((التَّواصي بالحقّ)) (ص١٢): (يقسِمُ سبحانَهُ في هذه السُّورة بالعَصْرِ، والعَصْرِ: هو الزَّمانُ: اللَّيلُ والنَّهارُ، واللهُ سبحانَهُ يَقسم بما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ؛ كما أَقْسَمَ بالطُّورِ، والذَّارياتِ، وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ إِلَى غيرِ ذَلِكَ). اهـ

وقد عَرَضَ القُرآنُ الكريم، والسنةُ النَّبوية للزَّمنِ قِيمةً، وأَهميةً، وأوجه انتفاع، وأثراً، وأنَّهُ مِنْ عِظيم نِعَمِ اللهِ تَعَالى التي أنعمَ بها على العِبَادِ.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠].

---

(١) وانظر: ((قيمة الزَّمَنِ)) للأحْدَب (ص١٥).

قلتُ: فالوقت: أعزَّ شيء عند الإنسانِ، فإذا فاتَهُ الوقتُ لا يمكنُه استدراكه البتَّة، بل لا سبيلَ له إلى تدارُكِهِ.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [الإنسان:٣٦]؛ أي: لا يُؤمرُ، ولا يُنهى!.(١)

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نِعْمَتَانِ(٢) مَغْبُونٌ(٣) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ).(٤)؛ أي: نِعْمَتان مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى.

والمرادُ بيان أَنَّ غالِبَ النَّاس لا ينتفِعُونَ بالصِّحَّةِ، والفَراغ، بل يصرفونَهُما في غيرِ مَحلِّهِمَا، فيصيرُ كلُّ واحدٍ منهما في حَقِّهم وَبَالاً!، ولو أنَّهم صَرَفُوا كُلَّ واحدٍ منهما في مَحلِّهِ لكانَ خيراً لهم، واللهُ الْمُستعانُ.

قالَ العلاَّمةُ الشَّيخ محمَّدُ بنُ صالح العُثيمين رحمه الله في ((شرح صحيح البُخَارِيّ)) (ج٦ ص٢٨٤): (صَدَقَ الرَّسولُ ﷺ، إنَّها فِعْلاً نِعْمَتَيْنِ لَمْغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ: (الصِّحَةُ، والفَرَاغُ)، فإنَّ أكثرَ النَّاس قد أضاعَهُما، تمضي عليهِ الأيامُ الطَّويلة،

---

(١) انظر: ((فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد)) للعلامة عبد الرحمن بن حسن (ج١ ص٨٦).

(٢) نِعْمَتَان: تَثْنية نِعْمة وهي الحالةُ الحسنةُ، وقيل: هي الْمَنفعةُ المفعولة على جهةِ الإحَسانِ إلى غيره.

(٣) مَغْبونٌ: من الغَبْنِ، وهو النَّقصُ.

وانظر: ((فتح الباري)) لابنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٢٣٠)، و((إرشاد السَّاري لشرح صحيح البُخَارِيّ)) للقَسْطَلانِيّ (ج١٣ ص٤٨٢)، و((لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل)) للخازن (ج٤ ص٤٦٦).

(٤) أخرجه البُخَارِيُّ في ((صحيحه)) (٦٤١٢)، والتِّرْمِذِيُّ في ((سُننهِ)) (٢٤٥٦)، وابنُ مَاجَه في ((سُننهِ)) (٤١٧٠)، وأَحمَدُ في ((الْمُسْنَدِ)) (٢٣٤٠).

وهو صَحِيحُ البدنِ فارغٌ وتَضِيعُ عليهِ، وهذا غَبْنٌ بلا شكٍّ، ولا يعرف هذا الغَبْنِ إلاَّ إذَا مَرضَ.

يقولُ: كيف لم أفعل كَذا في أَيَّامِ صحتي؟ كيفَ راحتْ عليّ الأيام؟!). اهـ

وهذا واقِعُ كثير مِنَ النَّاسَ مَغبونٌ في هاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ[(١)]؛ تذهبُ عليه دُون طائلٍ؛ أي: تذهبانِ عليه دُون فائدةٍ.[(٢)]

فالْمُوفّقُ العاقلُ من عَرَفَ كيفَ يَستفيدُ من وقتهِ، وزَمنهِ... لأنَّ الصِّحةَ يعقبها السَّقم، والفَراغَ يعقبه الشُّغل، واللهُ الْمُستعانُ.

قلتُ: ومِنَ النَّاس من لا يَغْبن فيهما، وهؤلاءِ هُم أهلُ العَزْم الَّذينَ يُقدرُونَ الأُمور، ويعرفونها، ويعرفونَ أنَّ الوقتَ أسرع مِمَّا يتصورُونَ، فكم مِنْ إنسانٍ يستبطئ الأجلَ فإذا بهِ قد حَلَّ!، وكم من إنسانٍ يستبطئ زوال نِعْمةٍ وإذا بها قد زَالت؟!، فخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.[(٣)]

قال الكِرْمَانِيُّ رحمه الله في ((الكَواكبِ الدَّرَارِيّ)) (ج١٣ ص١٩١): (قولهُ ﷺ: (مَغْبُونٌ)؛ هو خبرٌ، وقولهُ ﷺ: (كثِيرٌ)؛ هو الْمُبتدأُ، أو هو مُشتقٌ، إمَّا مِنَ الغَبْنِ، باسكانِ الموحدةِ، وهو النَّقصُ في البَيْعِ، وإمَّا مِنَ الغَبَنِ، بفَتْحِهَا، وهو النَّقصُ في الرَّأيِ، فكأنَّهُ قالَ: هذانِ الأمرانِ إذَا يُستعمِلاَ فِيمَا يَنْبغي فقدْ غُبِنَ صاحِبَهُا فيهما؛ أَيْ: باعَهُمَا ببخسٍ لا تحمدُ عاقبتهُ، أو ليسَ له في ذَلِكَ رأي البتَّه؛ فإنَّ الإنسانَ إذا لم يعملْ

---

(١) **قلتُ**: وهذا يُشيرُ إلى أنَّ الذي يُوفق لذلك قليلٌ من النَّاس، واللهُ الْمُستعانُ.

وانظر: ((فتح الباري)) لابنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٢٣٠).

(٢) انظر: ((التَّعليقات على صحيح البُخَارِيّ)) للعلاَّمة الشَّيْخ ابن باز (ج٦ ص٢٨٤).

(٣) انظر: ((شرح صحيح البُخَارِيّ)) للعلاَّمةِ الشَّيخ ابنِ عُثيمين (ج٦ ص٢٨٤)، و((شرح صحيح البخاري)) لابنِ بَطَّالٍ (ج١٠ ص١٤٦ و١٤٧)، و((إرشاد السَّارِي لشرح صحيح البُخَارِيّ)) للقَسْطلانِيّ (ج١٣ ص٤٨٢).

الطَّاعةَ في زَمَنِ صحتِهِ؛ ففي زَمَنِ الْمَرضِ بالطَّريق الأَولِ، وعلى ذَلِكَ حكم الفَراغ أيضاً فَيبْقَى بلا عَمَلٍ خاسراً مَغْبُوناً؛ هذا وقد يكونُ الإنسانُ صَحِيحاً، ولا يكونُ مُتفرغاً للعبادةِ؛ لاشْتِغالهِ بأسبابِ المعَاشِ، وبالعكسِ فإذا اجْتَمَعَا للعبدِ، وقصَّر في نَيْلِ الفَضَائلِ؛ فذَلِكَ هو الغَبْنُ له، وكيفَ لا والدُّنيا هي سُوقُ الأرباحِ، وتُجاراتِ الآخرةِ). اهـ

قلتُ: فلا يُحسِنُ بالْمُسلمِ أن يُضيّعَ أوقاتَهُ، وينفقَ رأسَ مالهِ فيما لا فائدةَ فيهِ.(١)

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

قلتُ: فالعبدُ سوف يُحاسبُ عَمَّا فَعَلَ بزمانِهِ، ووقتِ حَيَاتهِ، واللهُ الْمُستعانُ.

فعَنْ أَبِي عَمْرُو، وَقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ قَالَ: ((قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ)).(٢)

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).(٣)

---

(١) وانظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعود)) للقاسم (ص٩)، و((توزيع العبادات على مقادير الأوقات)) لابنِ قُدَامةَ (ص٨)، و((شرح صحيح البخاري)) للعلاَّمة ابنِ عُثيمين (ج٦ ص٢٨٤)، و((فتح الباري)) لابنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٢٣٠).

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (ج١ ص٦٥)، وأحمدُ في ((الْمُسند)) (ج٣ ص٤١٣)، وابنُ مَنْدَة في ((الإيمان)) (ج١ ص٢٨٦ و٢٨٧ و٣٢٣)، وابنُ بَطَّة العُكْبَري في ((الإبانة الكبرى)) (ج١ ص٣١٧)، والبَغَوِيّ في ((شرح السُّنة)) (ج١ ص٣١)، وابنُ حِبَّان في ((صحيحه)) (ج٢ ص١٤٦)، وابن أبي عاصم في ((السُّنَّة)) (ج١ ص١٥)، والتِّرْمِذِيّ في ((سننه)) (ج٤ ص٦٠٧).

(٣) **حديثٌ حسنٌ**.

أخرجه التِّرْمِذِيّ في ((سُننه)) (ج٤ ص٣٥٥)، وأحمدُ في ((الْمُسند)) (ج٥ ص١٥٣ و١٥٨ و١٧٧)، والبَيْهَقِيُّ في ((الزهد)) (ص٣٢٦)، وأَبُو نُعَيْم في ((الحِلْية)) (ج٤ ص٣٧٨)، والحاكمُ في ((الْمُستدرك)) (ج١ ص٥٤).

وإسنادُهُ حسنٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الدِّينِ، وَعِلْمُ الدُّنْيَا، وَالْعِلْمُ الَّذِي لِلدِّينِ فَهُوَ الْفِقْهُ، وَالْعِلْمُ الَّذِي لِلدُّنْيَا فهو الطِّبُّ، ما سِوَى ذَلِكَ مِنَ الشِّعْرِ، وَالنَّحْوِ فَهُوَ غَنَاءٌ، أو عَبَثٌ).(١)

وَعَنِ الإِمَامِ الْفُضَيْلِ بْنَ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِحَذَافِيرِهَا جُعِلَتْ لِي حَلاَلاً، لَكُنْتُ أَتَقَذَّرُهَا).(٢)

قلتُ: إذن كيفَ يستهين الْمُسلمُ بوقتهِ، وهو يَعلمُ أنَّ الله تعالى يراه، ويراقِبَهُ في كُلِّ وقتٍ، بل كيف يضيعه مَنِ اسْتَشْعَرَ قولَهُ تَعَالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ و١٤] لذلك عليه بحِفْظهِ، وصَوْنهِ مِمَّا يفسدُهُ في حياتهِ.

وقدْ قِيلَ إنَّ الوقتَ مِنْ ذَهبٍ، ولكن الحقيقة؛ كَمَا قالَ شَيْخُنا ابنُ بازٍ رحمه الله أَنَّهُ أعزُّ من الذَّهبُ، فالذَّهبُ مُمكن الاستغناء عنه لكنَّ الوقتَ لا يُستغنى عنه؛ لأنَّهُ الطَّريقُ الذي يُقرِبُ العبدَ إلى رَبِّه سبحانه، ويُوصلهُ إليهِ.(٣)

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ حَمكَان في ((الفَوائد والأَخْبار)) (ص١٣٦)، وابنُ حَجَرٍ في ((تَوالي التَّأْنِيس)) (ص١٣٨).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ أَبِي الدُّنيا في ((ذَمِّ الدُّنيا)) (ص١٠٦)، وابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمشق)) (ج٤٨ ص٣٨٢)، وابنُ حَمكَان في ((الفَوائد والأَخْبار)) (ص١٤٤)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياء)) (ج٨ ص٨٩).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) لَمَّا كانَ الوقتُ سريعُ الانقضاء، وكان ما مَضى منه لا يرجع، ولا يُعوض بشيءٍ كان الوقتُ أنفس، وأثمن ما يملك الإنسانُ، وترجع نفاسة الوقتِ إلى أنَّه وعاءٌ لكُلِّ عملٍ، وكُلِّ نتاجٍ.

قالَ ابنُ بَطَّالٍ رحمه الله في ((شرح صحيح البخارِيّ)) (ج١٠ ص١٤٦): (فَمَنْ أنْعمَ النَّظر فى هذا -الوقت- كان حريًا ألاَّ يذهبُ عنه وقتٌ من صِحتِه[١]، وفراغهِ إلاَّ ويُنفقه فى طاعةِ ربِّهِ، ويشكره على عظيم مواهبهِ، والاعترافِ بالتَّقصير عن بُلوغِ كُنْهِ تأديةِ ذلكَ، فَمَنْ لم يكنْ هكذا وغَفَلَ وسَهَا عَنِ التزام ما ذكَرنَا، ومرت أيامُهُ عنه في سَهْوٍ، ولَهْوٍ، وعَجْزٍ عن القِيَام بما لزمَه لربِّه تَعالى، فقد غَبَنَ أَيَامَهُ، وسوف يندمُ حيثُ لا ينفعُه النَّدم!). اهـ

قلتُ: لذلكَ فلا نَنْسَى ما ذَكَرَنَا اللهُ تَعالى به في الكِتَابِ، والسُّنَّةِ مِنَ الأوامِرِ، والنَّواهي، فيعاقبُنا اللهُ في هذه الحياةِ الدُّنيَا.

قالَ تَعَالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون﴾ [المائدة:١٤].

وقالَ تَعَالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

وقالَ تَعَالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

قالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله في ((طريق الهِجْرتين)) (ص٢٧٠): (مِنْ أعظمِ الأشياءِ ضَرراً على العبدِ بطالتهِ وفَراغهِ، فإنَّ النَّفسَ لا تقعدُ فارغةً، بل إنْ لم يُشغلها بِمَا ينفعُها شغلتْهُ بما يضرُّه، ولا بدَّ). اهـ

لَقَدْ هَاجَ الفَرَاغُ عَلَيْكَ شُغْلاً

وأَسْبَابُ البَلاَءِ مِنَ الفَرَاغِ

(١) فلا تغرُّك الصَّحة، والقوة، والشَّباب، ولا تسير في رَكْبِ الحياةِ لاهياً ساهياً...وتَنْسى وقفةَ الْمَوْتِ، واللهُ الْمُستعانُ.

قلتُ: فلا بدَّ من معرفةِ هذا الأمر، لكي نُحافظ على الوَقْتِ في طاعةِ الله تَعالى، لأنَّ الوقتَ سريعُ الانْقِضاءُ، فهو يمرُّ مَرّ السَّحابِ، ويَجْري جري الرِّيح، سواء كان زَمَنُ مسرَّةٍ وفَرَحٍ، أم كان زَمَنُ اكْتِئابٍ وتَرَحٍ، وإن كانت أيام السُّرورِ تمرّ أسرع، وأيّام الهُمومِ تسير ببطءٍ وتثاقلٍ، لافي الحقيقةِ، ولكن في شُعُورِ صاحِبها، ومَهْمَا طالَ عُمْرُ الإنسانِ في هذه الدُّنيا فهو قصيرٌ، ما دام الموتُ هو نِهَايةُ كُلُّ حيٍّ.(١)

قلتُ: فما مَضَى مِنَ الوَقْتِ لا يعودُ، ولا يُعوض... فكلُّ يومٍ يمضي، وكلُّ ساعةٍ تنقضي، وكلُّ لحظةٍ تمرّ، ليس في الإمكانِ استعادتها، وبالتالي لا يمكن تَعْويضها...فما مِنْ يومٍ ينشقُ فجرُهُ، فكأنَّه يقول يا ابنَ آدمَ تزود منِّي، فإنِّي إذا مَضيتُ لا أعودُ إلى يومِ القيامةِ!.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).(٢)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: إِذَا

---

(١) انظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعودُ)) للقاسم (ص٧١).

(٢) أخرجه البُخَارِيُّ في ((صحيحه)) (ج٥ ص٣٠٩)، و(ج٦ ص٨٥ و١٣٢)، ومُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (ج٢ ص٦٩٩)، وأحمدُ في ((الْمُسند)) (ج٢ ص٣١٢ و٣١٦ و٣٧٤)، وابنُ خُزَيْمَةَ في ((صحيحه)) (ج٢ ص٣٧٥)، والبَغَوِيُّ في ((شرح السُّنة)) (ج٦ ص١٤٥).

أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ).[١]

وَعَنْ حَاتِمٍ الأَصَمِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (مَتَى مَا شَغَلْتَ قَلْبَكَ بِالْمَضْمُونِ لَكَ فِي الرِّزْقِ، خِفْتَ أَنْ تُضَيِّعَ الْمَفْرُوضَ عَلَيْكَ، وَإِذَا اشْتَغَلْتَ بِالْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ، لَمْ تُضَيِّعِ الْمَضْمُونَ لَكَ).[٢]

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ معاذٍ الوَاعِظِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَلا إِنَّ الْعَاقِلَ الْمُصِيبَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مَنْ عَمِلَ ثَلاثًا: تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ).[٣]

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ معاذٍ الوَاعِظِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (اجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ رِبَاطًا، وَالصِّدْقَ سِلاحًا، وَمَنْ شَغَلَكُمْ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ عَدُوٌّ لَكُمْ؛ فَعَلَى هَذَا فَقَاتِلُوا).[٤]

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في ((صحيحه)) (ج١١ ص٢٣٣)، والتِّرْمِذِيُّ في ((سُننِهِ)) (ج٤ ص٥٦٧ و٥٦٨)، وابنُ مَاجَه في ((سُننِهِ)) (ج٢ ص١٣٧٨).

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ حَمَكَان في ((الفَوائد والأَخْبار)) (ص١٥١).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ حَمَكَان في ((الفَوائد والأَخْبار)) (ص١٤٧)، وابنُ الجَوْزِيّ في ((صِفة الصُّفوةِ)) (ج٢ ص٧٦).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٤) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ حَمَكَان في ((الفَوائد والأَخْبار)) (ص١٤٨).

وإسنادُهُ حسنٌ.

واعلمْ أخي الْمُسلم أنَّ اللَّيلَ، والنَّهارَ خزانتان يُخزن فيها الخَيْرَ، والشَّرَّ، فَعَمَلُ العبدِ في اللّيلِ، والنَّهارِ من خيرٍ، وشرٍّ مكتوبٌ، ومُحصى عليهِ عند الله جلَّ في عُلاَهُ.

قلتُ: فكما أنَّ الإنسانَ يُحِبُّ بطَبِيعَتِهِ أن يُنظِفَ مكانَهُ، ويُرتبَ خزائِنَهُ التي يحفظ فيها أَمتعته، فالأجدرُ بهِ أن يُنظِمَ وقتَهُ، ويحفظَ خزائِنَ وَقْتِهِ مِنَ التَّلَفِ، أو مِمَّا يفسدُهَا عليه.

قالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [ق: ٣١-٣٥].

قلتُ: هُنا أخْبَرَ سبحانُه في هذهِ الآيةِ أَنَّ الجَنَّةَ: أُزلفت للمُتقينَ غيرَ بعيدٍ..؛ يَعْنِي: يومَ القيامةِ؛ لأنَّه قَبْلُ ذَلِكَ قَالَ تَعَالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧]. **[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله]**.

فقولُه تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾؛ أي: قَرُبتْ للمُتقينَ يومُ القِيامةِ على رُؤوسِ الأشْهادِ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، أَيْ: أَنَّ المكانَ غيرُ بَعيدٍ يَرَوْنَهُ، ويشاهدونَهُ، فَقال تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٢١]؛ أي: هذا ما وُعُدتمُ به، والموعودُ بهِ كلُّ أوابٍ حَفِيظٍ، **والأوابُّ**: هو الرَّجاعُ لطاعةِ اللهِ تعالى، هو التَّوابُ، وهو كَثِيرُ العملِ الصَّالح، والاستقامةِ، والاستغفارِ، والتَّوبةِ؛ فالأوابُونَ هُم التَّوابُونَ، الرَّجاعُونَ لطاعتهِ جلَّ وعَلاَ، هم الْمُنيبونَ إليهِ الْمُستقِيمُونَ على طَاعتِهِ. **[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله]**.

ومعنى: لكلِّ أوابٍ حَفيظٍ: الحَفيظُ هو الَّذي حَفِظَ أوامرَ اللهِ تعالى؛ بالامْتثالِ، وحَفِظَ نَواهِيَهُ بالإجْتناب، وحَفِظَ قلبَهُ، وجوارحَهُ وصانها عَمَّا يغضب الله، وحَفِظَ وقتَهُ فملئهُ بالخَيْر، فالحفيظُ هَو الَّذي حَفِظَ أوقاتَهُ فعمرَهَا بطاعةِ الله تعالى، وصانَ جوارحَهُ

عَنْ مَحارِمِ الله تعالى، وعَمَّرَ وقتَهُ بِمَا يقربُهُ إلى اللهِ تعالى.[١] **[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله]**.

قلتُ: فلم يُضيّع وقتَهُ لا في مَعصيةٍ، ولا فِيمَا يشغُله عَنْ ما هو أَهمُّ مِنَ الزياراتِ التي لا حاجةَ له بها، أو قضاءه في الأسواقِ، كفعلِ بعضِ النِّساءِ هداهنّ اللهُ، أو الإنشغال بالهواتفِ، والتكنولوجيا الحديثية؛ كما لا يُخفى عليكم، وما سببته من ضَياعٍ، وإهدارٍ لأوقاتِ الْمُسلمين، بل امْتثل أوامر اللهِ بأداءِ الصَّلاةِ، والزَّكَاةِ، والصَّوْمِ، والحَجِّ، وبرِّ الوالدين، وصلةِ الرَّحم، وسائر ما أوجبَهُ اللهُ عليه.

فهذا هو الحفيظُ الَّذي حَفِظَ نفسَهُ عن الْمُحرماتِ باجتناب النَّواهي الْمُشتملة على كُلِّ ما حَرَّمَ اللهُ سبحانَهُ وتَعَالَى على عبادِهِ، مِنَ الشِّرْكِ، والبِدَعِ، وكبائرِ الذُّنُوبِ مِنَ القَتْلِ، والزِّنا، والسِّرقةِ، وعُقوقِ الوالدَيْنِ، وقَطِيعَةِ الرَّحِمِ... وحَفِظَ قلَبَهُ بتَطهيرِهِ مِنْ أَمراضِ القُلوبِ كالغِلِّ، والكِبْرِ، والغُرورِ، والعُجْبِ، والحَسدِ، والنِّفاقِ، والرِّياءِ، وغيرِها... وحَفِظَ جوارحَهُ فصانَها عَنْ كُلِّ ما يغضب الله، واستغلها، واستعملها في كُلِّ ما يُحِبُّ اللهُ ويَرضاه من الأقوالِ والأفعالِ... وحَفِظَ وقتَهُ وصانَهُ عن كُلِّ ما يضُر، واستعمله فِيمَا ينفعُهُ مِنْ طلبِ علمٍ، والعملِ بالعلمِ، والدَّعوةِ إلى الله على بَصيرةٍ، وعبادةٍ من صلاةٍ، وتلاوةِ القُرآنِ، وتَسبيحٍ، وتَهليلٍ، وستغفارٍ وغيرِ ذَلِكَ مِنَ الأذْكار الصحيحة.

فالحفيظُ هو الَّذي جَمَعَ الخَيْرُ، وابْتَعَدَ عَنِ الشَّرِّ، فقولهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]؛ أي: مَنْ خَشِيَ الرَّحمنَ بالغيبِ مَعَ أنَّه لم يَرَه؛ بل

---

(١) وانظر: ((تيسير الكريم الرَّحمنِ)) للشَّيْخِ السِّعدي (ج٧ ص١٥٦)، و((تفسير القرآن)) لابنِ كَثِيرٍ (ج٧ ص١٩)، و((الجامع لأحكام القرآن)) للقُرْطُبِيِّ (ج١٧ ص٢٠).

آمنَ بهِ، واتَّقاهُ، وخَشِيَ عقابَهُ، وغَضبهُ؛ فَعَمَّرَ الوَقْتَ بطاعتهِ، وابْتعدَ عَنْ مَعصيتهِ، ووهَبَ نفسَهُ للهِ تعالى، وحَفِظَ حدودَهُ سبحانَهُ.

قلتُ: وهناكَ مَنْ يُصَلِّي، ويصُوم، ويزكِي، ويتصدَّقَ باعمالِ البِرِّ لكنَّهُ إلى جانبِ ذَلِكَ نَراهُ لا يَهْتم كثيراً بشأنِ الوَقْتِ؛ فيضيّعُ أوقاتَهُ في مُشاهدةِ الْمُسلسلاتِ، وكُرَةِ القَدَمِ، والفضائِياتِ، ويذهب إلى الْمَجالسِ العامَّةِ، واللَّهْوِ في الحَدائقِ العامَّةِ التي تُفسد عليهِ عقلَهُ، ودِينَهُ، أو يُهدر وقتَهُ بالزِّياراتِ، وكثرةِ السَّفَرِ من غَيْرِ حاجةٍ لذلك.(١)

فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ، يَقُولُ وَسُئِلَ عَنِ الْقَلْبِ لِلْفَتَى مَا يُفْسِدُهُ؟ قَالَ: (الطَّمَعُ قِيلَ: مَا يُصْلِحُهُ؟ قَالَ: الْوَرَعُ).(٢)

قلت: فالمسلمُ الحقّ حَرِيصٌ كُلّ الحِرْصِ على وَقْتهِ فَمَا أن يجدَ عندَهُ وقتٌ مِنْ فَراغٍ إلاَّ شَغَلَهُ في خِدمةِ دينهِ، وعِمَارةِ وقتهِ بكُلِّ ما يحبُهُ اللهُ، ويرضاهُ شَحِيحاً عليه كشحةٍ على مالهِ.

قالَ ابنُ الجَوْزِيّ رحمه الله في ((صيد الخاطر)) (ص٣٠٦) عن بعضِ الأوقاتِ للقَاءِ: (فإنَّ هذه الأشياءَ لا بدَّ منها، ولا تَحتاُج إلى فِكْرٍ، وحُضُورِ قَلْبٍ، فأرصدتها لأَوقاتِ زيارتهم، لَئلّا يضيّعُ شيء مِنْ وَقْتي(٣)). اهـ

وأَمَّا قَولهُ تَعالى: ﴿جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾؛ أي: مع حِفْظهِ لحدُودِ اللهِ تعالى، وحِفْظهِ لأوامرِ لله تعالى، وحِفْظهِ لجَوارِحِهِ عَمَّا يُغضبُ الله؛ أتاهُ بقلبٍ مُنيبٍ، والقلبُ الْمُنِيبُ

---

(١) وانظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعودُ)) للقاسم (ص٣٦).

(٢) **أثرٌ حسنٌ**.

أخرجه الخطيبُ في ((الزُّهد والرَّقائق)) (ص٧٢)، والبَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص٨٥).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **قلتُ**: فهذا ابنُ الجَوْزِيّ رحمه الله يُحكي لنا كيفَ يستفيدُ مِنَ الوَقْتِ!.

هو الْمُقْبِلُ علىِ الله الخاشعُ له الْمُخبت السَّليم؛ فالمنيبُ هو الرَّجاعُ إلى اللهِ، الْمُقبلُ عليه الخاشعُ له سبحانه؛ فهكذا هم الْمُتقونَ لله تعالى، فهؤلاءِ هم الْمُتقونَ الْمُنيبونَ الَّذين أنابوا إلى اللهِ، وحفظُوا جوارِحَهُم مِنْ مَعاصِيهِ، وصانُوهَا عَمَّا لا يَنْبَغِي، وابْتعدُوا عَنْ مَحارِمِ اللهِ، وحفظُوا الأوقاتَ؛ فلم يشغُلوها بِمَا يضرّهُم، ولم يُخزنوا فِيهَا ما يُغضب الله عليهم، بل حَفِظُوهَا حَتَّى خزنوا فيها ما ينفعُهُم لدينهِم وأُخراهم، فهذا زادُهُم ليومِ مَعادهم؛ فأصبحتْ قلوبهُم أكثر خشية للهِ تعالى، ملئية بحبِّهِ سبحانه، وخَشيتهِ بعيدةٍ عَنْ كُلِّ ما يغضبُهُ.

قلت: فالقلبُ هو الأساسُ فيجبُ أن يُعمَّرَ بالإخلاصِ للهِ تَعالى، والخشيةِ منه، وأن يَعظَّمَ أمرَهُ ونهيَهُ لكي تستقيم أحاولُ العبدِ ليصُانَ وقتَهُ، ويُصان جوارحه، ويُعمّر وقتَهُ بِمَا يُرضِيَ الله، ويُقربه إليه، ومَتى خَبَّثَ القلبَ بالشِّركِ، والبِدَعِ، والمعاصِي انقادتْ الجوارحُ مَعَ القَلْبِ؛ فهي تَابِعَةٌ للقَلْبِ، والعياذُ باللهِ.

وإليك الدَّليل:

فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ).[١]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ).[٢]

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في ((صحيحه)) (٥٢)، ومُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (٤١٧٨).

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (٥٣١٤).

فهذا الحَدِيثُ يَدُلُّ على أَنَّ القُلوبَ هِيَ مَحلُّ النَّظرِ والإعتبارِ، أمَّا الصُّورُ، والأموالُ لا قِيمَةَ لها، وليستْ مَحل نَظَرٍ؛ فالقلبُ هو الأساسُ؛ كَمَا تَقدَّمَ؛ فإن وُجِدَ في القلبِ: مِنَ الإخلاصِ، والإنابةِ، والتَّوكلِ، والخَوفِ، والرَّجاءِ، والرَّغبةِ، والرَّهبةِ، فسيحفِظُ الوَقْتَ فيما ينفعُهُ.

وكذلكَ إذا صَلُحَ القلبُ فسينفق المالَ في طاعةِ اللهِ؛ فصاحبُ القلبِ السَّليم يُفكر حِيَن يَستعمل مالَهُ في طاعةِ اللهِ، وبهذا يكونُ المال عَوْناً لصاحبهِ فيما يُرضِيَ الله؛ فالواجبُ على ذِي البَّصيرةِ أن يَعتني بقلبهِ، وعملهِ وأن لا ينشغلُ عن ذَلِكَ بالنَّظرِ إلى الصُّورِ، والجمالِ، والمالِ والدُّنيا بزخرفِها، ولذاتِها؛ فإنَّها مَتاعٌ قليلٌ زائِلٌ.

قلتُ: ولماذا اللهُ ينظرُ لقلُوبِ عبادِه؟! لكونِ القلبِ هو الْمُحركُ للجوَارِحِ؛ فالقلبُ إذا عَظَّمَ اللهَ تعالى حقيقةً سيدفع الجوارحَ لكُلِّ ما يُحب الله، ويرضاهُ مِنَ الأعمالِ، والأقوالِ الظاهرة والبَّاطنة.

فمتى اشْتغلَ العبدُ بقلبهِ، وأسبابَ صلاحهِ بالإخلاصِ للهِ، وتعظيمِ أمرهِ ونهيهِ وحَفِظَ وقتَهُ عَمّا يضرُّه مِنَ الأقوالِ، والأعمالِ والغفلَةِ حُفِظَ هذا القلب، ومتى غَفَلَ اسْتولتْ عليه الغَفلةُ، واستولى عليه الشَّيطانُ، وانقادت الجوارحُ إلى كُلِّ شيءٍ مما يُملي عليها من جهةِ القَلْبِ.

فَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ الزاهد رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ: (عِبَادَ الرَّحْمَنِ، هَلْ جَاءَكُمْ مُخْبِرٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ تُقُبِّلَتْ مِنْكُمْ، أَوْ شَيْئًا مِنْ خَطَايَاكُمْ غُفِرَتْ لَكُمْ، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، **وَاللَّهِ لَوْ عُجِّلَ لَكُمُ الصَّوَابُ فِي الدُّنْيَا لَاسْتَقْلَلْتُمْ كُلُّكُمْ مَا**

افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ، أَفَتَرْغَبُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَعْجِيلِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَرْغَبُونَ، وَتَتَنَافَسُونَ فِي جَنَّةٍ: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥]).(١)

قلتُ: فلا تَغُرَّكَ الصِّحةُ... ولا تسيرُ في رِكَبِ الحياةِ لاهِياً ساهِياً... وتَنْسى وقفةَ الْمَوْتِ... فكم مِنْ صَحيحٍ سَليمٍ مُعافى سَمعنا نعيَهُ... وكَم مِنْ مَريضٍ سَقيمٍ طالَ أجلُهُ... وكم في القُبورِ مِنَ الشَّبابِ، والأطفالِ، واللهُ الْمُستعانُ.

إنَّ وقتَ العبدِ هو عُمْرُهُ في الحقيقةِ، وهو مَادةُ حياتِهِ الأبديةِ في النَّعِيمِ الْمُقِيمِ... ومادةُ معيشتِهِ الضَّنْكَ في العَذابِ الأليمِ... وهو يمرُّ مَرَّ السَّحابِ، فما كانَ مِنْ وَقتِهِ للهِ تَعَالى، وباللهِ تَعَالَى، فهو حياتُهُ وعُمْرُهُ... وغير ذَلِكَ ليسَ مَحْسُوباً من حياتِهِ، وإنْ عاشَ فيهِ مُدة طَويلة... فإذا قَطَعَ وقتَهُ في الغَفلةِ، واللَّهوِ، واللَّعبِ، والأمالي الباطلةِ، أهلكهُ وقتُهُ، والعياذُ باللهِ.(٢)(٣)

قلتُ: إذاً فالواجبُ على الْمُسلمِ نحو وقتِهِ أن يُحافظَ عليه؛ كما يُحافظُ على مالِهِ وأشد، وأن يحرصَ على الاستفادةِ مِنْ وقتِهِ كُلِّه فيما ينفعُهُ في دينِهِ ودُنياه.

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه ابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج١٠ ص٤٩٦)، والخطيبُ في ((الزُّهد والرَّقائق)) (ص١٢٤)، وأبو القَاسِمِ الأَصْبهانيّ في ((سِيَرِ السَّلفِ الصَّالحين)) (ج٣ ص٧١١)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حَلْية الأولياء)) (ج٥ ص٢٣١).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٢) وانظر: ((الجواب الكافي)) لابنِ القَيِّمِ (ص١٨٤).

(٣) **قلتُ:** فمن حُسن التربيةِ تعويدُ النفس على الاستفادةِ مِنَ الأوقاتِ، وعِمارها بما هو مُفيدٌ في الدُّنيا والآخرةِ.

فعن إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَشَدُّ الْجِهَادِ؛ جِهَادُ الْهَوَى، مَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَقَدِ اسْتَرَاحَ مِنَ الدُّنْيَا وَبَلَائِهَا، وَكَانَ مَحْفُوظًا مُعَافًى مِنْ أَذَاهَا).[١]

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لَا تُطْلَقُ رُوحُ الْعَبْدِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ حَتَّى تَسْتَقِيمَ نَفْسُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ).[٢]

قلتُ: فآفةُ العبدِ رِضَاهُ مِنْ نَفسهِ بما هو فيهِ مِنَ الغَفلةِ، واللَّهْوِ، واللَّعِبِ، والانْشغالِ عَنْ طاعةِ اللهِ تَعَالى، وطاعةِ رَسُولهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

فَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (إِذَا سَكَنَتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ الْآخِرَةُ).[٣]

قلتُ: فلو أنَّ الإنسانَ لم يُجاهد نفسَهُ في حِفْظِ وَقتهِ، والتَّفكرِ فِيمَا مَضَى مِنْ هذا الوقتِ، أهو للهِ أم لغيرِهِ، فسيكونُ مِنَ الغافِلِينَ، وربمَّا يسقطُ العبدُ في التَّوسعِ في الْمُباحاتِ إذا أَكَلَ أسترسلَ، وإذا زارَ القريبَ، أو الصَّديقَ له أسترسلَ، وكأنَّهُ خُلِقَ لهذا الشَّأنِ، وهكذا حَتَّى يُضيّعُ وقتَهُ دُون أن يُشْعِرَ، واللهُ الْمُستعانُ .

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٥٢)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياء)) (ج٨ ص١٨).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٥٢).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٧٧)، والبَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٣٥)، وابنُ عَساكر في ((تاريخ دمشق)) (ج٣٤ ص١٣٦)، والقُشَيْري في ((الرِّسالة)) (ص٣٥).

وإسنادُهُ حسنٌ.

فَيَجِبُ على الْمُؤمنِ أنْ يعتبرَ الوقتُ أمانة عظيمة يَجِبُ أن تُصانَ؛ يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧]، ويقول جلَّ وعلاَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج:٨].

فعلى العبدِ أن يَرْعَى هذه الأمانةُ؛ فالقلبُ أمانةٌ، والجوارحُ أمانةٌ؛ فعلى العبدِ أَنْ يَصُونَهَا عَمَّا يُسبب عَذابها يومَ القيامةِ، ويُحاسبُ نَفْسَهُ بهذه الآية: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق:٣١ و٣٢].

قلت: فهل أنتَ أَيُّها العبدُ أوابٌ حفيظٌ، هلْ أنتَ رجاعٌ الى اللهِ كُلَّمَا أحسستَ بذنبٍ، أو تَقصيرٍ بادرت بالتَّوبةِ، والرُّجُوعِ الى اللهِ، فحاسب نفسكَ؛ لأنَّ مُحاسبَة النَّفْسِ مِنَ الجهادِ في سَبيلِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ جلَّ وعلاَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، والْمُجاهدةُ حساب النَّفس؛ فهم قد جاهدُوا أنفسَهُم، وجاهدُوا الشَّيطانَ وجاهدُوا الكُفَّارَ، وجاهدُوا العُصاةَ، وجاهدُوا كُلَّ ما يُعيقُهُم في طَرِيقِهِم الى اللهِ تَعَالَى.

ولهذا ففي هذه الأيةِ حُذف المفعولَ بهِ، فلم يَقُلْ الَّذين جاهدُوا أنفسَهُم، أو الكُفَّارَ بل أطلقَ كلمةَ الجهادِ؛ أي: جعلَهَا مُطلقةً فتشملُ جهادِ النَّفس، والشَّيطانِ، والعدُوِّ الكافرِ، والْمُنافقينَ، والعُصاةِ حتَّى يَسْتَقِيمُوا على الطَّريق، واللهُ والْمُستعانُ.

[فائدة: من الشيخ ابن باز رحمه الله].

قلتُ: وجهادُ الكُفَّارِ بنشرِ العَقِيدَةِ الصَّحيحةِ، ودَحْضِ أباطيلهم، ولن يَكُونَ هذا إلاَّ بِحِفْظِ الوَقْتِ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٩].

فقولهُ تَعَالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ؛فيهِ مُحاسبةٌ في حِفْظِ الوَقْتِ؛ أي: لينظرْ كُلُّ إنسانٍ ما قَدَّمَ في آخِرتهِ حَتَّى لا يُضيّعُ أوقاتَهُ، وحَتَّى لا يخسر دُنياهُ، وآخرتَهُ؛ فالواجبُ العناية به، وحفظهِ فهو أهمُّ مِنَ المالِ، فمتى حَرَصَ على مالهِ مِنَ الضَّياعِ؛

فالأَوْلَى أن يكونَ أَحْرَصَ على وقتهِ مِنَ الضَّياعِ فِيمَا لا ينفعُ، ولكن لا يعقلُ ذَلِكَ إلَّا أولوا الألبابِ فبالوقت تَحفظ العُلومَ، وفيه جهادُ النَّفْسِ فيما ينفعُها، وصونُها عَمَّا يضرُّها، وفِي حِفْظِ الوقتِ تنال الحفظ للمُراجعةِ، والْمُذَاكرةِ فيما تنفعُ، وتحصل ما تريدهُ من خيرِ الدنيا والآخرة.

قلت: فبيَّنَ سبحانه وتَعالى أنَّ الْمُتقي، والأوابَ، والحَفِيظَ، إنَّما يكونُ كَذَلِكَ إذا اتَّصَفَ بالصِّفَتَيْنِ الآخِرَتَيْنِ: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٣٣].

فهذا هو الأوَّابُ والحِفيظُ فنال ذلك بسببِ خشيتهِ لله تعالى؛ فهذه الخَشيةُ حملتُهُ على أنْ يتقي اللهَ، فَتَرَكَ ما حَرَّمَ، وفَعَلَ الأَمْرَ، وحَفَظَ الوقتَ، ورَاقَبَ اللهَ في السِّرِّ، والعَلَنِ.

قلتُ: فالعاقلُ هو الَّذي يُقدر، ويعي أن الوقتَ أمانة يجبُ أن تُصانَ، وتُحفظَ، قال جَلَّ وعَلاَ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

فعَنْ أَبِي العَبَّاسَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).[1]

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**.

أخرجه التِّرْمِذِيُّ في ((سُننهِ)) (ج٤ ص٦٦٧)، وأحمدُ في ((الْمُسْند)) (ج١ ص٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧)، وأَبُو يَعْلَى في ((الْمُسْند)) (ج٤ ص٤٣٠)، وابنُ السُّنِّي في ((عَمل اليوم واللَّيلة)) (ص٢٠٢)، والطَّبَرَانِيُّ في ((الْمُعْجم الكبير)) (ج١٢ ص٢٣٨ و٢٣٩)، وفي ((الدُّعاء)) (ج٢ ص٨٠٤).

=

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ)[١]؛ وَمَعْنَى حَرَّمْتُ الحَرَامَ: اجْتَنَبْتُهُ، وَمَعْنَى أَحْلَلْتُ الحَلاَلَ: فَعَلْتُهُ مُعْتَقِداً حِلَّهُ.

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا).[٢]

قالَ ابنُ القَيِّم رحمه الله في ((مِفْتَاح دار السَّعادةِ)) (ج١ ص٥٥٢): (لَو عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بالتَّدبُرِ لاشْتَغَلُوا بهَا عَن كُلِّ مَا سِوَاهَا ... فقِرَاءةُ آيَةٍ بتفكُرٍ، وتَفهُمٍ خيرٌ من قِرَاءَةِ خَتْمةٍ بِغَيْرِ تَدبُّرٍ، وتَفهُمٍ، وأنفع للقَلبِ، وأَدْعى الى حُصُولِ الايمانِ، وذَوْقِ حَلاوةِ الْقُرْآنِ). اهـ

قلتُ: فمُراعاةُ الأوقاتِ عَلَى هَذهِ الطَّريقةِ مِنْ عَلاماتِ التَّيقظ، واللهُ الْمستعانُ.

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(١) أخرجه مُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (ج١ ص٤٤)، وأحمدُ في ((الْمُسْند)) (ج٣ ص٣١٦)، وأَبُو يَعْلَى في ((الْمُسْند)) (ج٣ ص٤٤٥)، والبَيْهَقِيُّ في ((السُّنن الكبرى)) (ج١٠ ص٩).

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (ج١ ص٢٠٣)، والتِّرْمِذِيُّ في ((سُننهِ)) (ج٥ ص٥٣٥ و٥٣٦)، والنَّسَائِيُّ في ((عَمَلِ اليوم واللَّيلة)) (ص٢١٥)، والبَيْهَقِيُّ في ((السُّنن الكُبْرى)) (ج١ ص٤٢)، وفي ((شُعَبِ الإيمان)) (ج١ ص٤٤).

فَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (النَّاسُ نِيَامٌ؛ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا).[١]

قلتُ: والعَجَبُ نجد العبدَ يَجري ساعاتٍ طِوال، ولا يُؤدي السُّننَ الرَّاتبةِ، وربما أَهْمَلَ في الفَرِيضَةِ!، واللهُ الْمُستعانُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُنَازِلٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (مَنِ اشْتَغَلَ بِالْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَالْآتِيَةِ ذَهَبَ وَقْتُهُ بِلَا فَائِدَةٍ).[٢]

فَيَنْبَغِي للمُسلمِ أنْ يتَّخِذَ مِنْ مُرُورِ اللَّيالي، والأيام عِبْرَةً لنفسهِ، فإنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ يبليان كُلَّ جديدٍ، ويُقربان كُلَّ بعيدٍ، ويَطويانِ الأعمارِ، ويَشيبانِ الصِّغار، ويَنفيانِ الكِبَار.[٣]

قلتُ: فالنَّفسُ داعيةٌ إلى تَضْييعِ الوَقْتِ في اللَّهوِ واللَّعِبِ، وفِيمَا تَشْتَهِي وتَهْوي لا سيَّما إذا ظَنَّتْ أنَّها آمنةٌ، وبعيدةٌ عَنِ الهلاكِ، ووَجَدتْ نَفْسَها في نَشاطٍ، وكون الشَّيطان يحرضُهَا على فَعْلِ الْمُنكراتِ، ومُخالفِة الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، حيثُ يكون الهَلاكُ في ذَلِكَ، والضَّلالُ الْمُبين.

قلتُ: وحِفْظُ الوقتِ في اللهِ تَعَالى مِنْ علاماتِ الْمُؤمنِ التَّقي الَّذي يعلمُ أن عَيْنَ اللهِ تَعَالى تُلاحِقُهُ أينمَا ذَهَبَ، وفي أيَ مكانٍ حَلَّ، إنَّ هذا الشُّعورُ بالْمُراقبةِ يُورِّث عند

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**
أخرجه أَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياءِ)) (ج٧ ص٥٢).
وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**
أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٦).
وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) انظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعودُ)) للقاسم (ص٢١).

الْمُؤمنِ مُحاسبة النَّفسِ على هذا التَّقْصِيرِ الْمُبين، وينعكسُ ذَلِكَ على إصْلاحِ وقتِهِ، والاهتمامِ بُمعالجتِهِ، ورَحِمَ اللهُ تَعَالَى مُؤمناً حَاسَبَ نفسَهُ، وأصْلَحَ وَقْتَهُ، وجعلَهُ فِي طاعةِ اللهِ تَعَالَى، وطاعةِ رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم(١)، إنَّ الضَّمِيرَ الحي هو الَّذي يُلازمُ هذا الشُّعور في كُلِّ لحظةٍ، بل في كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ.(٢)

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]).(٣)

ويَشْهَدُ لمعنَاهُ؛ قولُهُ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]؛ والمعنى: أنَّ الْمُؤمنَ عليهِ أن يُحاسِبَ نَفْسَهُ، فَمَا قَدَّمَ ليومِ القيامةِ مِنَ الأَعمالِ؛ أمِنَ الصَّالحاتِ التي تُنَجيهِ، أم مِنَ السِّيئاتِ التي تُوبقه؟!.

---

(١) **قلتُ**: وهذا التَّعظيمُ يكونُ بتعظيمِ أمرِ اللهِ تَعالى، ونَهيهِ، فكلَّما كانَ العبدُ وقّافاً عند حُدودِ اللهِ تعالى قائماً بأمرِ اللهِ تَعالى عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، كلَّما حَظِيَ قلبهُ بتعظيمِ الربِّ سبحانه وتعالى.

وانظر: ((تعظيم قدر الصلاة)) للمَرْوَزِيّ (ج٢ ص٨٢٦)، و((صيد الخاطر)) لابنِ الجَوْزِيّ (ص٦٦).

(٢) وانظر: ((تعظيم قدر الصلاة)) للمَرْوَزِيّ (ج٢ ص٨٢٨).

(٣) **أثرٌ حسنٌ لغيرِهِ**.

أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا في ((مُحاسبة النَّفس)) (ص٢٢)، وأحمدُ في ((الزُّهد)) (ص١٢٠)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياء)) (ج١ ص٥٢) عن ثابت بن الحَجَّاج عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ به.

وأخرجه ابنُ الْمُبارك في ((الزُّهد)) (ص١٠٣) عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ بَلاَغاً عن عُمَر بنِ الخَطَّابِ ﷺ به.

وأخرجه ابنُ عَساكر في ((تاريخ دمشق)) (ج٤٤ ص٢٦٣) من طريق الشَّعْبِيّ به.

وأخرجه ابنُ أَبِي شَيْبَةَ في ((الْمُصنَّف)) (ج١٣ ص٢٧٠) عن رجلٍ عن عُمَر بنِ الخَطَّابِ ﷺ به.

وأخرجه التِّرْمِذِيُّ في ((سُننهِ)) (ج٤ ص٥٥٠) تَعليقاً عن عُمَر بنِ الخَطَّابِ ﷺ به.

وَذَكَرَهُ ابنُ الجَوْزِيّ في ((تاريخ عُمرَ بن الخَطَّابِ)) (ص١٧٨)، وابنُ كَثِيرٍ في ((تفسيره)) (ج١ ص٤٧٨)، والسُّيوطيُّ في ((الدُّر الْمُنثور)) (ج١٤ ص٦٧٥).

وَعَنِ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الْمُؤْمنُ يُحاسِبُ نَفْسَهَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَوْقِفاً بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، والمُنَافِقُ يَغْفَلُ عَنْ نَفْسِهِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً نَظَرَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ نُزُولِ مَلَكُ المَوْتِ بِهِ).(١)

قلت: ولا أعْدَمَ لقيمةِ الوقتِ من مُصاحبةِ أهلِ التَّعطُّلِ الذين لجُّوا في الجَهالةِ، واللَّهو، والعبث، فهُم من أضيعِ النَّاس للوَقْتِ، واللهُ الْمُستعانُ.

أخي الْمُسلم: يُخَيلُ لِكَ أَنَّكَ مُقِيمٌ، بل أَنْتَ دائِبُ السِّير!،...تُساقُ سَوْقاً حثيثاً!... الموتُ متوجهٌ إليكَ، والدُّنيا تُطوى مِنْ وَرائِكَ... وَمَا مَضَى مِنْ عُمرِكَ فليسَ بعائدٍ إليكَ.(٢)

وَالوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ

وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ(٣)

قلتُ: إنَّ مُضِي الزَّمنُ، واختلاف اللَّيلِ والنَّهار لا يجوزُ أن يمرَّ بالْمُسلمِ، وهو في ذُهولٍ عَنِ الاعْتبارِ بهِ، والتَّفكير فيه، ففي كُلِّ يومٍ يمرّ، بل في كُلِّ ساعةٍ تَمْضِي، بل في كُلِّ لحظةٍ تَنْقَضِي تَقَعَ في الكَوْنِ، والحياة أحداث شتى، مِنْهَا ما يُرى، وَمَا لا يُرى، ومنها ما يُعلم، ومِنْهَا لا يُعلم.(٤)

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ عَساكرٍ في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٤٨ ص٣٢٣).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **قلتُ:** ابنُ آدمَ ليس لِمَا بَقِيَ من عُمرِكَ ثمنٌ!.

(٣) ((ذيل طبقات الحنابلة)) لابن رجب (ج١ ص٢٨١).

(٤) انظر: ((الوقت أنفاسٌ لا تعودُ)) للقاسم (ص٢١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد:٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف:٥١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

فَعَنِ الْحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣]؛ **قال: (إِيَّاكُمْ وَمَا شُغِلَ مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ الْأَشْغَالِ لَا يَفْتَحُ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ شُغُلٍ؛ إِلَّا أَوْشَكَ ذَلِكَ الْبَابُ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ عَشَرَةَ أَبْوَابٍ!).**(١)

والمرادُ: التَّحْذِيرُ مِنْ مَشاغِلِ الدُّنيا؛ فإنَّها لا يُمْكِنُ أنْ نتركَ العبدَ حتَّى يعمل للآخرة!، واللهُ الْمُستعانُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١ و٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ الْمُبارك في ((الزُّهد)) (٤٩١)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياء)) (ج٢ ص١٥٣).

وإسنادُهُ حسنٌ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، قَالَ: (مَالَكُمْ لَا تعُظِّمُونَ اللهَ حَقَّ تعَظِيمِهِ).(١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]، قَالَ: (يُقَدِّمُ الذَّنْبَ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ!).(٢)

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ، وَهَذَا الدِّرْهَمُ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ!).(٣)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الْعِلْمِ لَبَكَيْتُمْ حَتَّى تَنْفَدَ دُمُوعُكُمْ، وَلَصَلَّيْتُمْ حَتَّى تَنْقَصِمَ ظُهُورُكُمْ).(٤)

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه أبو داود في ((الزُّهد)) (ص٢٩٧)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في ((الْمُصنَّف)) (ج٨ ص١٩٨)، والطَّبَرِيُّ في ((جامع البيان)) (ج١٩ ص٥٩)، والبَيْهَقِيُّ في ((شُعَبِ الإيمان)) (٧٢٩)، والبُخَارِيُّ في ((صحيحه)) تعليقاً بصيغةَ الجَزْمِ (ج٨ ص٦٦٦)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في ((تفسيره)) (ج١٠ ص٣٣٧٥)، وسعيد بنُ منصور في ((السُّنن)) (ج٨ ص١٧٢)، وضياء الدِّين الْمَقْدِسِيُّ في ((الأحاديثِ الْمُختارة)) (٣٩٢)، وابنُ حَجَرٍ في ((تَغْلق التَّعليق)) (ج٤ ص٣٤٨).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((شُعَبِ الإيمان)) (ج٧ ص٦٧٣)، والطَّبَرِيُّ في ((جامع البيان)) (ج٢٩ ص١١١)، وأبو داود في ((الزُّهد)) (ص٢٩١).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه أبو داود في ((الزُّهد)) (ص٢٥٦)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في ((الْمُصنَّف)) (ج٨ ص٢٠٣)، والبَيْهَقِيُّ في ((شُعَبِ الإيمان)) (ج٧ ص١٠٢٩٣)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياء)) (ج١ ص٢٦١)، وهَنَّادٌ في ((الزُّهد)) (٦٨٣).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٤) **أثرٌ صحيحٌ.**

=

قلتُ: لم يزلْ اللَّيلُ، والنَّهارُ في سرعةِ نَقْصِ الأعمارِ، وتقريبِ الآجالِ...فإنَّها أوقاتٌ مَحُسوبة... ولحظاتٌ مَقْسُومة... وأنفاسٌ مَعْدُودة... تمرُّ مر السحابِ طوبى لِمَنْ عَمِلَ بها، واسْتزادَ مِنَ الخَيرِ فيها.

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ ذَكَرْتَ هَذَا الْمَالَ، وَقُلْتَ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وَقُلْتَ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ نُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّه).[(١)]

قلتُ: فالواجبُ على الْمُسلمِ الْمُبادرة بالأعمالِ الصَّالحةِ قَبْلَ أن لا يَقدر عليها، ويُحال بينَهُ وبينها، إمَّا بمرضٍ، أو موتٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآفاتِ.

فَعَنِ أَبِي سَعِيدٍ أَحْمَدَ بنِ عِيسَى الْخَرَّازِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الِاشْتِغَالُ بِوَقْتٍ مَاضٍ تَضْيِيعُ وَقْتٍ ثَانٍ).[(٢)]

أخرجه أبو داود في ((الزُّهد)) (ص٢٥٦)، والحاكمُ في ((الْمُستدرك)) (ج٤ ص٥٧٨)، ووكيعٌ في ((الزُّهد)) (٢٠)، وهَنَّادٌ في ((الزُّهد)) (٤٦٩).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو داود في ((الزُّهد)) (ص٨٧)، وابنُ شبَّة في ((تاريخ المدينةِ)) (ج٢ ص٦٩٩)، وعبدُ الله بنُ أحمد في ((زَوائد الزُّهد)) (١٤٣)،وابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج١٣ ص١١٩).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٧)، وابنُ عساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٥ ص١٣٢).

وإسنادُهُ حسنٌ.

وَعَنِ أَبِي الْقَاسِمِ إبْرَاهِيمَ بنِ مُحَمَّدٍ النَّصْرَآبَاذِيَّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (مُرَاعَاةُ الْأَوْقَاتِ مِنْ عَلَامَاتِ التَّيَقُّظِ).[١]

وَعَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَيْبَانَ الزَّاهِدِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (مَنْ حَفِظَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْقَاتَهُ، فَلَا يُضَيِّعُهَا بِمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ فِيهِ حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ).[٢]

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (تَفَكَّرُوا وَاعْمَلُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمُوا، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالدُّنْيَا، فَإِنَّ صَحِيحَهَا يَسْقَمُ، وَجَدِيدَهَا يَبْلَى، وَنَعِيمَهَا يَفْنَى، وَشَبَابَهَا يَهْرَمُ).[٣]

قلتُ: فلا تُفتحُ الدُّنيا على أحدٍ إلاَّ أَلْقَتْ بينهُمُ العَداوةُ، والبَغْضاءُ إلى يومِ القِيَامةِ، واللهُ الْمُستعانُ.

فَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (عِنْدَمَا أُتِيَ بِسِوَارِ كِسْرَى بنِ هُرْمُز، وَكُنُوزِهِ؛ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ (اللَّهُمَّ فَلاَ يَكُنْ ذَلِكَ مُكْراً بِي عَنْكَ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنين:٥٥]. وفي رواية: (فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٧)، وابنُ عَسَاكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٧ ص١٠٨).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٧).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٧)، وابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٤٨ ص٤١٢).

وإسنادُهُ حسنٌ.

قلت: فهذهِ وصيةٌ صادِقَةٌ، ونَصيحَةٌ غاليةٌ مِنَ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ رحمه الله.

فَقِيلَ مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟، فَوَاللهِ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُ شُكْرٍ، وَيَوْمَ فَرَحٍ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّ هَذَا لَمْ يُعْطَهُ قَوْمٌ إِلاَّ أَلْقَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ).[١]

وَعَنْ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (مَنْ لَمْ يَتْرُكِ الدُّنْيَا اخْتِيَارًا تَتْرُكْهُ الدُّنْيَا اضْطِرَارًا، وَمَنْ لَمْ تَزُلْ عَنْهُ نِعْمَتُهُ فِي حَيَاتِهِ؛ زَالَ عَنْهُ نِعْمَتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ).[٢]

قلتُ: كُلُّ شيءٍ تملكه في هذه الدُّنيا؛ لا يتركه في يَدِكَ الموتُ، فاعمل في الطَّاعةِ، لكي تَملك بعد الموتِ، ولابدَّ.. إن شاءَ اللهُ.

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية:١٧]: (بَغْيًا عَلَى الدُّنْيَا، وَطَلَبَ مُلْكِهَا، وَزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا).[٣]

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه ابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٤٤ ص٣٣٨ و٣٣٩ و٣٤٠)، وابنُ الْمُبارك في ((الزُّهد)) (ص٢٦٥)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في ((الْمُصنَّف)) (ج١١ ص١٠٠)، و(ج١٣ ص٢٦٤)، والبَيْهَقِيُّ في ((دلائل النُّبوة)) (ج٦ ص٣٢٥)، وأحمد في ((الزُّهد)) (ص١١٤)، والْمُعافى بن عِمْران في ((الزُّهد)) (ص١٨١)، وأبو داود في ((الزُّهد)) (٦٨).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الزُّهد الكبير)) (ص١٩٧).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه ابنُ أَبِي حَاتِمٍ في ((تفسيره)) (ج٢ ص٣٧٧)، والْمُعافى بنُ عِمْران في ((الزُّهد)) (ص١٨٢)

وإسنادُهُ حسنٌ.

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بنِ سَلَّامٍ الْمَغْرِبِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لَا تصْحَب إِلَّا أَمِيناً، أَو مُعِيناً، فَإِنَّ الْأَمِينَ يَحْمِلُكَ عَلَى الصِّدْقِ، والْمُعِينُ يُعِينُكَ عَلَى الطَّاعَةِ).[١]

وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِاللهِ بنِ عَلِيٍّ الْبَصْرِيّ قَالَ: (مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَالِهِ قَوِيًّا، وَبِمَعْرُوفِهِ عَنِيًّا، صَارَ وَقْتُهُ فَوْتًا، وَحَيَاتُهُ مَوْتًا).[٢]

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيّ بنِ إِبْرَاهِيمَ البَغْدَادِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لَا يَغُرَّنَّكُمْ صَفَاءُ الْأَوْقَاتِ، فَإِنَّ تَحْتَهَا آفَاتٍ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْعَطَاءُ، فَإِنَّ الْعَطَاءَ عِنْدَ أَهْلِ الصَّفَاءِ مَقْتٌ).[٣]

وقالَ الْمُفسِّرُ الخازنُ رحمه الله في ((تفسيره)) (ج٤ ص٤٦٦): (كلُّ ساعةٍ تمرُّ مِنْ عُمْر الإنسانِ؛ إمَّا أنْ تكونَ تلكَ السَّاعةِ في طاعةٍ، أو مَعْصيَةٍ، فإنْ كانتْ في مَعْصَيةٍ، فهو الخُسرانُ الْمُبين الظاهر، وإنْ كانتْ في طاعةٍ، فهو في صلاحٍ، وخَيْرٍ). اهـ

قالَ الْمُفسِّرُ الخازنُ رحمه الله في ((تفسيره)) (ج٤ ص٤٦٤): (ومَعلومٌ أنَّ مِنِ اشْتَغَلَ بشيءٍ أعرضَ عن غيرِهِ، فينبغي للمُؤْمنِ العاقلِ أنْ يكونَ سعيُهُ، وشغلُهُ في تقديمِ الأهمِّ، وهو ما يقربُهُ من ربِّهِ عَزَّ وجلَّ). اهـ

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٤٨٢).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه الخطيبُ في ((الزُّهد والرَّقائق)) (ص٨٠).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه الخطيبُ في ((تاريخ بغداد)) (ج١١ ص٣٤٠)، وفي ((الزُّهد والرَّقائق)) (ص٩٠).

وإسنادُهُ حسنٌ.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ هَذَا الدِّينَارُ، وَهَذَا الدِّرْهَمُ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ).(١)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

قلت: فالأعمارُ تَكْفِي لِمَنْ أرادَ أنْ يتذَكَّرَ، ويتفكَّرَ، ويعمل صالحاً، واللهُ الْمُستعانُ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً).(٢)

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله في ((فتح الباري)) (ج١١ ص٢٤٠):
(الْإِعْذَارُ: إِزَالَةُ الْعُذْرِ، والْمَعْنى: أَنَّه لَمْ يَبْق لَهُ اعْتذارٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرُكْ لِلْعَبْدِ سَبَبًا فِي الِاعْتِذَارِ يَتَمَسَّكُ بِهِ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ إِلَّا بَعْدَ حُجَّةٍ). اهـ

وعن بِلالِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (عِبَادُ الرَّحْمَنِ، اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ فِي أَيَّامٍ قِصَارٍ لأَيَّامٍ طُوَالٍ، فِي دَارِ زَوَالٍ لِدَارِ مُقَامٍ، وَدَارِ حُزْنٍ، وَنَصَبٍ لِدَارِ نَعِيمٍ وَخُلْدٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مِنَ الْيَقِينِ فَلا يَتَعَبَنَّ(٣)**)؛ يَعْنِي: لا يَتعبُ نَفْسَهُ!.**

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**
أخرجه هنَّادٌ في ((الزُّهد)) (٦٨٣)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في ((الْمُصنَّف)) (ج١٣ ص٣٨٣)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياءِ)) (ج١ ص٢٦١).
وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٢) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) (٦٤١٩).

(٣) **أثرٌ صحيحٌ.**
أخرجه أَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياءِ)) (ج٥ ص٢٣١)، وابن عساكر في ((تاريخ دِمشقٍ)) (ج١٠ ص٤٩٣).
وإسنادُهُ صحيحٌ.

وَعَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ مَنَازِلٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (لم يُضَيَّعْ أَحَدٌ فَرِيضَةً مِنَ الْفَرَائِضِ إِلَّا ابْتَلاَهُ اللهُ بتَضْييعِ السُّنَنِ، وَلَمْ يُبْتَل أَحَدٌ بتَضْييعِ السُّنَنِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يُبْتَلَى بالبِدَعِ).(١)

وَعَنْ سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهُ التُّسْتَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَعْمَالُ الْبِرِّ يَعْمَلُهَا الْبِرُّ والفَاجِرُ؛ وَلَا يَجْتَنِبُ الْمُعَاصِيَ إِلَّا صِدّيقٌ).(٢)

وَعَنْ سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهُ التُّسْتَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَدْنَى الْأَدَبِ أَنْ تَقَفَ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَآخِرُ الْأَدَبِ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ).(٣)

وَعَنْ سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهُ التُّسْتَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (شُكْرُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، وَشَكْرُ الْعَمَلِ زِيَادَةُ الْعِلْمِ).(٤)

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٣٦٩).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٢٠٩)، وأبو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياءِ)) (ج١٠ ص١٩٧).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٢٠٧).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٤) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٢٠٧)، وأبو نُعَيْمٍ في ((حِلْية الأولياءِ)) (ج١٠ ص١٩٤) .

وإسنادُهُ حسنٌ.

وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (إِذَا غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَى الْخَوْفِ فَسَدَ الْوَقْتُ).[١]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ).[٢]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْهَادِي وَالْفَاتِنُ).[٣]

فاللهُ تَعالى أوجبَ على النَّاسِ الإيمان باليومِ الآخر؛ ذَلِكَ اليومُ العظيم الَّذي يَقِفُ النَّاسُ فيهِ بين يدي ربّ العالمينَ جلّ وعَلاَ، ليُجازي تَعَالى النَّاسَ على ما قدَّمُوا مِنْ أعمالٍ سيئةٍ في هذه الحياةِ لِماَ ضيَّعُوا من أوقاتِهِم في ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [القصص:٨٤].

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ في ((طبقات الصُّوفية)) (ص٧٦).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه مُسْلِمٌ في ((صحيحه)) (٢٦٤٥)، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (٦١٧٧)، والطَّحَاوِيُّ في ((مُشكل الآثار)) (٢٦٦٤)، وابنُ بَطَّة في ((الإبانةِ الكُبرى)) (١٤٠٢)، والفِرْيَابِيُّ في ((القَدَر)) (١٤٠)، والآجُرِّيُّ في ((الشَّريعة)) (٣٦١).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

(٣) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه الفِرْيَابِيُّ في ((القَدَر)) (٢٩٧)، وعبد الله ابنُ وَهْبٍ في ((القَدَرِ)) (ص٧٥)، ومالكٌ في ((الْمُوطأ)) (٢٦٢٠)، واللاَّلَكَائِيُّ في ((الاعتقاد)) (١٢٠١)، وابنُ بَطَّة في ((الإبانةِ الكُبرى)) (١٦٥٩)، والبَيْهَقِيُّ في ((القَضاء والقَدَر)) (٤٩٥).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]؛ أي: مالكِ يومِ الحسابِ، والعِقَابِ، سُمِيَ بهذا الإسمِ؛ لأنَّ النَّاس -خاصة هذا الصنَّف منهم- يُدانونَ فيهِ بأعمالِهم السَّيئةِ، ويُجزونَ في هذا اليومِ على ما قَدَّمُوهُ في هذه الحياةِ الدُّنيا؛ لِمَاذَا لأنَّكُم ﴿تَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [القصص:١٧].

قلتُ: فهذا اليومُ؛ يومُ الجزاءِ، والحِسَابِ، والوُقُوفِ بين يدي اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى، لأنَّ العبدَ كُلَّمَا مَضَى في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، وخَطى فيها خُطوات، فإنَّ كُلَّ خُطوةٍ يَخْطُوهَا تُدْنِيهِ مِنَ اليومِ الآخرِ، وتبعدهُ مِنَ الدُّنيا!.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بالأَيَامِ نَقْطُعَهَا

وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ

أي: مِنَ لقاءِ اللهِ تَعَالَى، والوقوفِ بين يديهِ؛ ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ: ﴿ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُون﴾ [العنكبوت:١٣].

فَعَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: (ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ).[1]

ولاحظ قولَهُ ﷺ: **(غَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ)**؛ لأنَّ غَداً يومُ الدِّينِ، يومُ الحسابِ لا مَجال للعمل فيهِ، وإنَّما مَجالُ الأعمالِ، ووقتِها هو هذه الحياةُ الدُّنيا.

قلتُ: ولا حظ أيضاً مدّة إقامتِكَ في هذه الحياةِ مُقارناً ذَلِكَ بمدَّةِ، أو أوقاتِ يومِ القيامةِ.

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في ((صحيحهِ)) تَعليقاً بصيغة الجَزْمِ (٦٤١٧).

فالنَّاسُ في عَرصاتِ يومِ القيامةِ قَبْلَ بدءِ الحِسَابِ عندما تَدْنُوا الشَّمسُ من الخَلائقِ، وتكونُ منهم قَدْرِ مِيلٍ، ويعرقُ النَّاسُ، ويتفاوتونَ في العَرَقِ، يقفونَ في يومٍ كان مِقْدارهِ خمسينَ ألفَ سَنَة.

قلتُ: ما الْمُقارنةُ بين مُدّةِ بقاءِ العبدِ في هذه الحياةِ، وبين خمسينَ ألفَ سَنَةٍ يقفها على أَرْضٍ لا بناءٌ فيها، ولا شَجَرٌ، ولا زَرْعٌ، ولا غيرُ ذَلِكَ، ويستوي في هذا الوقوفِ الغَني والفَقير، والكبير والصَّغير، والذَّكر والأُنثى؛ يقفونَ حُفاة عُراة.(١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْت﴾ [آل عمران:١٨٥].

قَالَ العَلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بنُ صالح العُثيمين رحمه الله في ((شرح رياض الصَّالحين)) (ج٣ ص٤٣٧): (لكنّ الدُّنيا لا تُطيل الأمل فيها، فَكَمِ مِنْ إنسانٍ أَمَّلَ أملاً بعيداً فإذا الأَجل يفجؤه؟! وَكَمْ مِنْ إنسانٍ يُقَدِّرِ ويُفكر سَيفعل ويَفعل ويَفعل، **فإذا بِهِ قد انْتَهَى أجلُهُ، وتَرَكَ ما أمله، وانقطعَ حَبْلُ الأملِ، وحَضَرَ الأجلُ؟!**.

فالَّذي يَنْبغِي للإنسانِ العاقلِ أَنَّهُ كُلَّمَا رأى مِنْ نفسه طَمُوحاً إلى الدُّنيا وانشغالاً بها واغْتِراراً بها **أن يتذكرَ الموتَ، ويتذكرَ حالَ الآخرةِ**؛ لأنَّ هذا هو المآلُ المتيقن، وما يُؤمله الإنسانُ في الدُّنيا فَقَدْ يَحصل، وقَدْ لاَ يَحصل). اهـ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت﴾ [لقمان:٣٤].

قَالَ العلاَّمَةُ مُحَمَّدُ بنُ صالحٍ العُثيمين رحمه الله في ((شرح رياض الصَّالحين)) (ج٣ ص٤٤٢): (فإذا كُنْتَ لا تَدْرِي بأيِ أرضٍ تَموت، وأنتَ يمكِنُكَ أنْ تَذْهَبَ يَمِيناً وشِمالاً، **فكذلكَ لا تَعلمُ متى تموت، لا تَدْرِي في أيِ وقتٍ تموت، هل ستموتُ في**

---

(١) **قلتُ**: فيا أيها الغافل، لا ينفعك تضييع وقتكَ هذا؛ في هذا اليومِ العظيمِ، بل لا ينفعُكَ عِنادك، وإصرارك على الْمَعاصي، واللَّهو، واللَّهبِ في الدُّنيا.

الصَّباحِ، في الْمَساءِ، في اللَّيلِ، في وَسَطِ النَّهار لا تَدْرِي، في الشَّهْرِ القَرِيبِ، في الشَّهْرِ البعيدِ لا تَدْرِي، لا تَدْرِي متى تموتُ، ولا بأيِ أرضٍ تموت.

فإذا كنتَ كَذَلِكَ؛ فاقصرُ الأملِ، لا تمدّ الأمل طويلاً، لا تَقُل أنا شابٌ، وسوفَ أبقى زَماناً طَوِيلاً، فكم مِنْ شابٍّ ماتَ في شبابهِ، وكم مِنْ شَيْخٍ عُمِّرَ، ولا تَقُل إنِّي صحيحُ البدنِ والموتُ بعيد، **فكم مِنْ إنسانٍ مرضٍ بمَرضٍ يهلكه بسُرعة، وكم من إنسانٍ حَصَلَ عليه حادث، وكم مِنْ إنسانٍ ماتَ بَغْتَةً**، لذلِكَ لا يَنْبَغِي للإنسانِ أن يُطِيلَ الأمل؛ بل عليهِ أنْ يَعمل، وللدُّنيا عملها، وللآخرةِ عَملها[1]، فيسعى للآخرةِ سعيها بإيمانٍ باللهِ عزَّ وجلَّ، واتكالٍ عليه). اهـ

قلتُ: ولهذا يَنْبَغِي على العَبْدِ أن يَكُونَ مُسْتعداً مُتهيئاً لهذا اليومِ، مُسْتحضراً للقاءِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى، والوقوفُ بين يديهِ، وأنه مُجزي ومُحاسبٌ.

قلتُ: والوزنُ يومَ القيامةِ بمَثَاقِيلِ الذَّرّ!.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة: ٧ و٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَق﴾ [الأعراف:٨].

وَخِتَاماً نَقُولُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)﴾ [الزمر: ٥٥ و٥٦].

---

(١) أي الأعمال التي تُوافق منهج أهلِ السُّنة والجماعةِ.

فَعَنْ يَحْيَى بنِ مَعِينٍ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)) [الزُّمَر:٤٧]**، قال: (لَقُوا اللهَ بأَعْمَالٍ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهَا حَسَنَاتٌ، فَإِذَا هِيَ سَيِّئَاتٌ!).**[(١)]

فـ((تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ!))، بفعلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وتَرْكِ الأَعْمَالِ السِّيئةِ.

نسألُ اللهَ تَعَالى العافيةَ والسَّلاَمة، والتَّوفيقَ لِمَا يُحبه ويَرْضَاهُ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه ابنُ مُحْرِزٍ البغدادي في ((معرفة الرجال)) (ص٢٩٣).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

وذكره القُرطبيُّ في ((جامع أحكام القرآن)) (ج٨ ص٥٧٠٩)، وابنُ كثيرٍ في ((تفسير القرآن)) (ج٧ ص١٠٣).